

﴿فَقُلْنَا يٰٓآدَمُ إِنَّ هٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ

الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ۚ﴾ [طه: 117]

❖ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

لَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ أَمْرَهُ لِإِبْلِيسَ بِالسُّجُودِ لِآدَمَ، وَمَعْصِيَتِهِ لِأَمْرِ اللَّهِ، وَكَانَ هَذَا مُقَدِّمَةً لِذِكْرِ عِدَاوَتِهِ لِآدَمَ ﷺ: ذَكَرَ اللَّهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ تَحْذِيرَهُ لِآدَمَ مِنْ مَكْرِ إِبْلِيسَ بِهِ وَبِزَوْجِهِ، وَعَاقِبَةُ اسْتِمَاعِهِ لَهُ وَطَاعَتِهِ فِيمَا سَيَدْعُوهُ إِلَيْهِ مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَنَّهُ لَوْ أَطَاعَهُ، فَسَيَكُونُ سَبَبَ شِقَايِهِ، فَذَكَرَ هُنَا بَدَايَةَ تَفْصِيلِ مَا أَجْمَلَهُ لَمَّا قَالَ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾ (1).

بداية تفصيل ما
أجمله سابقاً
لاستيفاء عناصر
القصة

❖ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿وَلِزَوْجِكَ﴾: (زوج) أصلٌ يدلُّ على مُقَارَنَةِ شَيْءٍ لَشَيْءٍ، وَمِنْ ذَلِكَ الزَّوْجُ زَوْجُ الْمَرْأَةِ، وَالْمَرْأَةُ زَوْجُ بَعْلِهَا، وَهُوَ الْفَصِيحُ، قَالَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ [البقرة: 35]، وَيُقَالُ: لِفُلَانٍ زَوْجَانِ مِنَ الْحَمَامِ، يَعْنِي: ذَكَرًا وَأُنْثَى (2)، وَالزَّوْجُ: الْفَرْدُ الَّذِي لَهُ قَرِينٌ، وَيَدُلُّ عَلَى أَنَّ الزَّوْجَيْنِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ اثْنَانِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾ [النجم: 45]، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا - كَمَا تَرَى - زَوْجٌ ذَكَرًا كَانَ أَوْ أُنْثَى، وَالرَّجُلُ زَوْجُ الْمَرْأَةِ، وَهِيَ زَوْجُهُ وَزَوْجَتُهُ (3)، وَأَهْلُ الْحِجَازِ يَضَعُونَهُ لِلْمَذَكَّرِ وَالْمُؤَنَّثِ وَضْعًا وَاحِدًا، تَقُولُ الْمَرْأَةُ: هَذَا زَوْجِي، وَيَقُولُ الرَّجُلُ: هَذِهِ زَوْجِي، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ﴾ [النساء: 20]، أَي: امْرَأَةٍ مَكَانَ

(1) السَّعْدِيُّ، تَبْسِيرُ الْكَرِيمِ الرَّحْمَنِ، ص: 604.

(2) ابْنُ فَارِسٍ، مَقَابِيسُ اللُّغَةِ: (زَوْج).

(3) ابْنُ سَيِّدِهِ، الْحَكَمُ: (زَوْج).

امراً، وفي (المصباح): الرَّجُلُ: زَوْجُ الْمَرْأَةِ، وهي زَوْجُهُ أَيضاً، هذه هِيَ اللُّغَةُ الْعَالِيَّةُ، وجاء بها الْقُرْآنُ⁽¹⁾.

(2) ﴿فَتَشَقَّى﴾: (شقي) أَصْلُ يَدُلُّ عَلَى الْمُعَانَةِ وَخِلَافِ السُّهُولَةِ وَالسَّعَادَةِ، وَالشَّقَوَةُ: خِلَافُ السَّعَادَةِ، وَرَجُلٌ شَقِيٌّ بَيْنَ الشَّقَاءِ وَالشَّقَوَةِ وَالشَّقَاوَةِ، وَالْمُشَاقَاةُ: الْمُعَانَةُ وَالْمُمَارَسَةُ⁽²⁾، وَالشَّقَاءُ: الشَّدَّةُ وَالْعُسْرَةُ⁽³⁾، وَكَمَا أَنَّ السَّعَادَةَ فِي الْأَصْلِ ضَرْبَانِ: سَعَادَةُ أُخْرَوِيَّةٍ، وَسَعَادَةُ دُنْيَوِيَّةٍ، ثُمَّ السَّعَادَةُ الدُّنْيَوِيَّةُ ثَلَاثَةٌ أَضْرَبَ: نَفْسِيَّةً، وَبَدَنِيَّةً، وَخَارِجِيَّةً، كَذَلِكَ الشَّقَاوَةُ عَلَى هَذِهِ الْأَضْرَبِ، وَفِي الشَّقَاوَةِ الْأُخْرَوِيَّةِ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ أَتَّبَعَ هَذَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾، وَفِي الدُّنْيَوِيَّةِ قَالَ: ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾⁽⁴⁾، وَالْمَعْنَى هُنَا: فَتَتْعَبُ وَتَنْتَصِبُ فِي طَلَبِ رِزْقِكَ، وَيَكُونُ عَيْشُكَ مِنْ كَدِّ يَمِينِكَ وَعِرْقِ جَبِينِكَ⁽⁵⁾.

❖ الْمَعْنَى الْإِجْمَالِي:

فَقُلْنَا: يَا آدَمُ، إِنَّ هَذَا الَّذِي عَصَانِي، وَلَمْ يَسْجُدْ لَكَ، عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ حَوَاءَ، فَاحْذَرَا أَنْ تُطِيعَا عَدُوَّكُمَا إِبْلِيسَ، فَيَتَسَبَّبَ فِي إِخْرَاجِكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ، فَتَتْعَبَ يَا آدَمُ فِي طَلَبِ الرِّزْقِ وَالْكِسْوَةِ وَالسَّكَنِ؛ فَتَحْمَلَ أَنْتَ الْمَشَاقَّ وَالْمَكَارِهَ⁽⁶⁾، وَذَكَرْتَ الْآيَةَ عِدَاوَتَهُ لِهَمَا تَقْصِيلاً هُنَا، وَصَرَّحْتَ بِكَوْنِ عِدَاوَتِهِ مُتَعَلِّقَةً بِآدَمَ ﷺ؛ لِأَنَّ آدَمَ هُوَ مَنْشَأُ عِدَاوَةِ الشَّيْطَانِ لِحَسَدِهِ، ثُمَّ أَتْبَعَ بِذِكْرِ زَوْجِهِ؛ لِأَنَّ عِدَاوَتَهُ إِيَّاهَا تَبَعَ لِعِدَاوَتِهِ آدَمَ، وَهُوَ زَوْجُهَا، وَإِلَّا فَعِدَاوَتُهُ مُتَعَلِّقَةٌ بِكِلَيْهِمَا لِاتِّحَادِ عِلَّةِ الْعِدَاوَةِ، وَهِيَ حَسَدُهُ إِيَّاهُمَا⁽⁷⁾.

تحذير آدم
وزوجه من
الشيطان وكيد

(1) الرَّبِيدِي، تاج العروس: (زوج)، والفيومي، للمصباح للنير: 1/ 259.

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (شقو).

(3) ابن منظور، لسان العرب: (شقو).

(4) الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز: 3/ 332.

(5) الخازن، تفسير الخازن: 3/ 214، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 5/ 282.

(6) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 5/ 320، والشنقيطي، أضواء البيان: 4/ 106، وجماعة من علماء

التفسير، المختصر في تفسير القرآن الكريم، ص: 320.

(7) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 320 - 321.

❁ الإيضاح اللغوي والبلاغي:

دلالة الفاء في صدر الآية الكريمة:

دلَّتِ الفاءُ - الَّتِي هي في اللغة للتَّرتيب مع التَّعقيب - على أَنَّ قولَ الله ﷻ: ﴿فَقُلْنَا يَتَّادَمُ﴾، قد كان عقب إباء إبليس وإصراره بعناد شديد، أن يطيع الله في السُّجود لآدم، أو يَسْتَغْفِر من معصيته، وهي تُفيد السَّبَبِيَّةَ؛ لأنَّ ما قبلها سبب لما بعدها، فالحكم بأنَّه عدوٌّ لآدم وزوجه مُترتَّب على امتناعه عن السُّجود، وما سوَّغ له الامتناع، هو توهُمُه أنَّه خيرٌ منه، وحسده له على منزلته عند ربِّه، وأيُّ عداوة أقوى من ذلك؟⁽¹⁾

الحُكْمُ بعداوة
إبليسَ لآدم
مُترتَّب على
امتناعه من
السُّجود له

سِرُّ الحذف في صدر الآية الكريمة:

دلَّ السِّيَاق على وجود مطويٍّ مَحذوف، وهو أَنَّ الله ﷻ وعدَ آدم أن يدخله وزوجه الجنَّة دخولَ ابتلاءٍ، لا دخولَ جزاء وبقاء، ويمكن تقديرُ المحذوف بنحو ما يلي: (وقلنا: يا آدمُ سندخلُك وزوجك الجنَّة دخولَ امتحانٍ وابتلاءٍ، فإذا دخلتما فيها؛ فلا تُمكنَّا إبليسَ من إغوائكما، وإيقاعكما في معصية ربِّكما، فيتسبَّب في إخراجكما من الجنَّة عقوبة لكما، وعندئذٍ تتعرَّض - يا آدم - لتحمل الشَّقَاءِ ومتاعبه في الحياة على الأرض، وتحملُ زوجك وذريَّاتكما فيه مثل ذلك)، وفي هذا إعلام ضمنيٌّ: بأنَّ معصيتهما لأوامر الله ونواهيه - وهما في الجنَّة مُمتحنان - عقابُه الإخراجُ منها إلى الأرض.

الإيجازُ المدلولُ
عليه من السِّيَاق
اختصارُ الكلام
بليغٌ

بلاغة النداء وسرُّ مُناداةِ آدمَ باسمه:

جاء النداء في الآية الكريمة بـ ﴿يَتَّادَمُ﴾، والأصلُ أَنَّ النداء بـ (يا) يكون للبعيد، وإذا كان للقريب؛ فهو لأغراض أخرى، والمُناسبُ منها للمقام: أن يكون النداءُ بسبب غفلة آدم عن شرِّ ذلك العدوِّ

تنبيهُ آدمَ
وتحذيره من شرِّ
عدوِّه التَّربُّص به

(1) محمَّد أبو زهرة، زهرة التِّفاسير: 9/ 4798.

المتربص به، والحريص على إخراجهم من الجنة حتى يحذرهم أشدَّ الحذر، فنادى الله آدم تنبيهًا له وتحذيرًا له من عدوه الذي امتنع عن السجود له⁽¹⁾.

فائدة توكيد العداوة بعدة مؤكّدات:

تثبيت الأمر في
ذهن آدم ﷺ
حتى يهتم بالأمر

أكد النظم الكريم عداوة إبليس لآدم ﷺ بالأداة «إِنَّ» المفيدة للتوكيد أصالةً، وبالجملة الاسمية، وبالإشارة ثم تخصيص هذه العداوة، كونها خاصةً بآدم وزوجه، ثم بتقديم قوله: «عَدُوٌّ» على قوله: «لَكَ وَلِزَوْجِكَ»، وفائدة ذلك كله تثبيت الأمر في ذهن آدم ﷺ حتى يهتم بالأمر، فإذا كانت العداوة قد بدت، فتوقع الشرّ والإيذاء يقترن بها لا محالة، ولذا أكد الله هذه العداوة، فقال: «إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ»⁽²⁾.

دلالة اسم الإشارة «هَذَا» والعدول عن الاسم الظاهر:

تحقير إبليس
وهوانه سببه
كبريائه
وعصيانه

في قوله تعالى: «هَذَا» إشارة إلى الشيطان، وهي إشارة مراد منها التحقير⁽³⁾، وقد تبينّت عداوته البليغة وكرهه الشديدة لآدم وزوجه بوضوح وجلاء، فاستحقّ بذلك الانحراف النفسي، والمرض القلبى، ما يلحظ في العبارة من الهوان وقلة الشأن، باعتباره عدوًّا لله، فعادى من والاه، وقد ظهر من حسده الجليّ، وحقد الظاهر والخفيّ على آدم ونسله، ما كان سببًا للعداوة المستحكمة، فكان تحذير الله آدم وزوجه منه سبيلًا إلى اليقظة والشعور بالخطر المحقق، ولكن بالإشارة الدالة على الاحتقار.

علة الإخبار عن إبليس بأنه «عَدُوٌّ» لآدم وزوجه ابتداء:

بيان شدة عداوة
إبليس لآدم بما
لا مثيل له ولا
نظير

في قوله تعالى: «إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ» مناسبة حسنة، حيث قال في سورة الأعراف: «إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ»⁽⁴⁾.

(1) محمود شحاتة، تفسير القرآن الكريم: 3208 / 16.

(2) محمّد أبو زهرة، زهرة التفاسير: 4798 / 9.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 320 / 16.

[الأعراف: 22]، فَعَبَّرَ عَنْهُ بِاسْمِهِ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ﴾، هُوَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى فِي الْأَعْرَافِ، فَذُكِرَتْ عَدَاوَتُهُ لَهَا جُمْلَةً هُنَاكَ، وَذُكِرَتْ تَفْصِيلًا هُنَا، فَابْتَدِئَ فِي ذِكْرِ مُتَعَلِّقِ عَدَاوَتِهِ بِآدَمَ؛ لِأَنَّ آدَمَ هُوَ مَنْشَأُ عَدَاوَةِ الشَّيْطَانِ لِحَسَدِهِ، ثُمَّ اتَّبَعَ بِذِكْرِ زَوْجِهِ؛ لِأَنَّ عَدَاوَتَهُ إِلَيْهَا تَبَعَ لِعَدَاوَتِهِ آدَمَ زَوْجَهَا، وَكَانَتْ عَدَاوَتُهُ مُتَعَلِّقَةً بِكِلَيْهِمَا لِاتِّحَادِ عِلَّةِ الْعَدَاوَةِ⁽¹⁾.

دلالة التعبير بالاسم ﴿عَدُوٌّ﴾ بدل فعله:

عَبَّرَ النَّظْمُ الْكَرِيمُ بِالاسْمِ: ﴿عَدُوٌّ﴾ بَدَلَ الْفِعْلِ (يُعَادِيكُمَا)؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ عَدَاوَةَ الشَّيْطَانِ لَهَا وَلِذَرِيَّتَيْهَا مِنْ بَعْدِهَا مُسْتَمِرَّةٌ دَائِمَةٌ؛ لِأَنَّ الْكِبَرَ النَّاشِئَ عَنِ الْحَسَدِ لَا يَزُولُ⁽²⁾، وَالْعَدَاوَةُ قَدْ تَدَاوَى بِالْمَصَابِرَةِ وَحَسَنَ الْمَعَامِلَةِ وَالِدَّفْعِ بِأَلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، مُصَدِّقًا لِقَوْلِهِ تَعَالَى فِي هَذَا الْمَضْمَارِ: ﴿أَدْفَعْ بِأَلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: 34]، لَكِنَّ الْعَدَاوَةَ النَّاتِجَةَ عَنِ الْحَسَدِ مَوْغِلَةٌ فِي الْوُجْدَانِ، لَا دَوَاءَ لَهَا، قَالَ الشَّاعِرُ:

كُلُّ الْعَدَاوَاتِ قَدْ تُرْجَى مَوَدَّتُهَا *** إِلَّا عَدَاوَةَ مَنْ عَادَاكَ عَنْ حَسَدٍ

سُرُّ تَكَرُّرِ اللَّامِ فِي عَطْفِ ﴿وَلِزَوْجِكَ﴾ عَلَى الضَّمِيرِ الْمُتَّصِلِ:

أَعَادَ النَّظْمُ الْكَرِيمُ اللَّامَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ﴾؛ لِأَنَّهُ لَا يُعْطَفُ عَلَى الضَّمِيرِ الْمَجْرُورِ، بِدُونِ إِعَادَةِ الْجَارِّ عِنْدَ الْجُمْهُورِ، وَيُحْتَمَلُ أَنَّهُ أُعِيدَ أَيْضًا لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ عَدَاوَةَ اللَّعِينِ لِلزَّوْجَةِ أَصَالَةٌ لَا تَبَعٌ، فَهُوَ عَدُوٌّ ﴿وَلِزَوْجِكَ﴾؛ لِأَنَّهَا مِنْكَ⁽³⁾.

وهو على القول بعدم لزوم إعادة الجار في مثله، كما ذهب إليه ابن مالك، وأمَّا على القول باللزوم؛ فقد قيل في توجيهه: إِنَّ كَوْنَ

الدَّلَالَةُ عَلَى
دَوَامِ عَدَاوَةِ
الشَّيْطَانِ لَهَا
وَلِذَرِيَّتَيْهَا

الدَّلَالَةُ عَلَى أَنَّ
عَدَاوَةَ اللَّعِينِ
لِلزَّوْجَةِ أَصَالَةٌ
لَا تَبَعٌ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 321 / 16.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 356 / 12.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 356 / 12.

الشَّيْءَ لازماً - بحسب القاعدة النَّحْوِيَّة - لا يُنافي قصد إفادة ما يقتضيه المقام⁽¹⁾.

دلالة الفاء في قوله تعالى ﴿فَلَا﴾:

قوله تعالى: ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكَمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ تفریع على الإخبارِ بعداوةِ إبليسَ له ولزوجِه، بأنَّ نُهيَا نُهيَّ تحذير عن أن يتسبَّب إبليسُ في خُروجِهما من الجنَّة؛ لأنَّ العدوَّ لا يروقه صلاحُ حالِ عدوِّه⁽²⁾، وإذا ثبتت العداوة؛ فلا بدَّ أن يتوقَّع آدم نتائجها، وهي مُحاولَة إخراجِه من المكان الَّذي كُرم فيه، وكان السَّجود والخضوع فيه، ولذا جيء بهذا التَّفریع⁽³⁾.

دلالة النَّهي في الآية وسرُّ توكيده:

وقع النَّهيُّ في قوله تعالى: ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكَمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ في صورة نهي عن عملٍ هو من أعمال الشَّيْطَان لا من أعمال آدم؛ كناية عن نهي آدم عن التَّأثُّر بوسائل إخراجِهما من الجنَّة، كما يقال: لا أعرفنَّكَ تفعلُ كذا؛ كناية عن: لا تفعل، أي: لا تفعلُ كذا حتَّى أعرفه منك، وليس المراد النَّهي عن أن يبلغَ إلى المتكلِّم خبر فعلِ المُخاطَب، والنَّهي هنا نهي تحذير عن أن يتسبَّب إبليسُ في خروجِهما من الجنَّة؛ لأنَّ العدوَّ لا يروقه صلاح حال عدوِّه، والنَّهي سببه العداوة، وقد أُكِّد النَّهي بنون التَّوكيد الثَّقيلة، وبأنَّ الخروج من الجنَّة يترتَّب عليه الشَّقَاء⁽⁴⁾، وقد جاء هذا النَّهي على سبيل النَّصح والإرشاد وزيادة التَّحذير والتَّنْفير من هذا العدوِّ المخادع.

نكتة المجاز العقليِّ بإسناد الإخراج إلى إبليس:

قوله تعالى: ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكَمَا﴾، أي: فلا يكونن سبباً في

التَّفریع
على الإخبار
بالعداوة بالنَّهي
عن الانقياد
للوسوسة
والشَّقَاوة

التَّحذير من
تَسبُّب الشَّيْطَان
في إخراج آدم
وزوجِه من
الجنَّة

بيان أنَّ إبليس
هو التَّسبُّب
في إخراج آدم
وزوجِه من
الجنَّة بوسوسته

(1) الألويسي، روح المعاني: 8 / 579.

(2) ابن عاشور، التَّحْريِر والتَّنْويِر: 16 / 321.

(3) محمَّد أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 9 / 4798.

(4) محمَّد أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 9 / 4798.

إخراجكما، فأُسند الإخراج إلى إبليس، وإن كان فاعل الإخراج على الحقيقة هو الله تعالى؛ لأنَّ إبليس هو سبب إخراجهما، حيث إنَّه لما كان بوسوسته، هو الذي فعل ما ترتَّب عليه الخروج؛ صحَّ ذلك⁽¹⁾، فالإسناد إليه مجاز عقلي؛ لكونه سبباً⁽²⁾، وفي ذلك إشعارٌ بعظم ما اقترفه في حقِّهما حينما غرَّر بهما⁽³⁾، فأُسند الإخراج إلى إبليس لزيادة التحذير والإبلاغ في التنفير⁽⁴⁾.

دلالة التقييد بالجار والمجرور:

التقييد بالجار والمجرور في قوله تعالى: ﴿مِنَ الْجَنَّةِ﴾ للتنبيه، أي: فإنَّه لا يُقَصَّرُ في ضُرِّكما وإرادة إنزالكما عنها⁽⁵⁾، وإبعادكما عن هذا النعيم العظيم والمنزل الكريم، والتنبيه على شدة العداوة موصول بالتذكير بأنَّ الخروج سيكون من الجنة، وفي الخروج منها خسارة ما بعدها خسارة؛ لذلك نبَّه آدم وزوجه؛ كي لا يكون إبليس سبباً في إخراجهما منها، بطريق الإقناع وبسط البرهان لتمثُّل الخطر، والتبصُّر بما في الإخراج من ضرر.

دلالة الفاء في جملة ﴿فَتَشَقَّى﴾:

الفاء في قوله تعالى: ﴿فَتَشَقَّى﴾، لترتيب موجب النهي على عداوته لهما، أو على الإخبار بها⁽⁶⁾، قال أبو السُّعود: "والفاء لترتيب موجب النهي على عداوته لهما، أو على الإخبار بها، ﴿فَتَشَقَّى﴾

التنبيه على شدة
عداوة الشيطان
لآدم وزوجه،
وسعيه في زوال
النعيم عنها

ترتيب موجب
النهي وتعقيب
على عداوته
لهما

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 22 / 106.

(2) ذكر الزركشي إشارة لطيفة في هذا الموضع بأنَّ اللجاز هنا عائد على إبليس في كونه سبباً لسبب، لا على أنه سبب، حيث قال: "المخرج والتأزع في الحقيقة هو الله ﷻ، وسبب ذلك أكل الشجرة، وسبب أكل الشجرة وبوسوسة الشيطان ومقاسمته على أنه من النَّاصحين وقد مثل البيانئون بهذه الآية للسبب وإنما هي لسبب السبب"، ينظر: الزركشي، البرهان: 2 / 262، ولا إشكال في ذلك فإبليس هو السبب الرئيس والأوَّل في كل هذا.

(3) الرمخشري، الكشف: 3 / 91.

(4) البقاعي، نظم الدرر: 12 / 356.

(5) البقاعي، نظم الدرر: 12 / 357.

(6) الألوسي، روح المعاني: 8 / 579.

جوابٌ للنهي⁽¹⁾، و﴿فَتَشَقَّى﴾ يُحتمل أن يكون منصوبًا بإضمار (أن) في جواب النهي، ويُحتمل أن يكون مرفوعًا على الاستئناف، بتقدير: فأنت تشقى، واستُبعد هذا بأنه ليس المراد الإخبار عنه بالشقاء بل المراد أن وقع الإخراج حصل⁽²⁾.

سِرُّ إسناده ﴿فَتَشَقَّى﴾ إلى الضمير المفرد العائد على آدم:

أُسْنِدَ فَعْلُ الشَّقَاءِ إِلَى الضَّمِيرِ الْمُفْرَدِ الْعَائِدِ عَلَى آدَمَ دُونَ حَوَاءَ، بَعْدَ إِشْرَاكِهِمَا فِي الْخُرُوجِ، مِنْ حَيْثُ كَانَ هُوَ الْمُخَاطَبُ أَوَّلًا وَالْمَقْصُودُ بِالْكَلَامِ، وَلَئِنْ فِي ضَمَنِ شَقَاءِ الرَّجُلِ شَقَاءَهُمْ، كَمَا أَنَّ فِي ضَمَنِ سَعَادَتِهِ سَعَادَتَهُمْ، فَاخْتَصَرَ الْكَلَامُ بِإِسْنَادِهِ إِلَيْهِ دُونَهَا، مَعَ الْمُحَافَظَةِ عَلَى الْفَاصِلَةِ. أَوْ أُريدَ بِالشَّقَاءِ التَّعَبُ فِي طَلَبِ الْقُوَّةِ، وَذَلِكَ مُتَعَلِّقٌ بِالرَّجُلِ، وَهُوَ رَاجِعٌ إِلَيْهِ⁽³⁾؛ لِيُعْلِمَنَا أَنَّ نَفَقَةَ الزَّوْجَةِ عَلَى الزَّوْجِ⁽⁴⁾، وَأَنَّ عَلَيْهِ التَّكْفُلَ بِأَمْرِهَا، وَهُوَ الْقَائِمُ عَلَيْهَا، فَجَرَى اللَّفْظُ بِتَوْحِيدِهِ مِنْ هَذِهِ الْجِهَةِ⁽⁵⁾، وَأَيْضًا فَإِنَّ آدَمَ يَشْقَى شَقَاءَيْنِ: شَقَاءَهُ هُوَ الَّذِي يَقَعُ فِيهِ، وَشَقَاءَهُ إِذْ يَشْقَى بِهِ؛ لِأَنَّ الرِّجَالَ يَتَحَمَّلُونَ التَّبِعَاتَ عَنْ أَنْفُسِهِمْ وَعَنِ النِّسَاءِ؛ لِأَنَّهُمْ قَوَّامُونَ عَلَيْهِمْ، فَأُوجِدَتْ هَذَا الْقَوَامَةَ تَبِعَاتٍ عَلَيْهِمْ أَكْثَرُ⁽⁶⁾.

دلالة الالتفات من خطاب المثنى إلى خطاب المفرد:

فِي إِسْنَادِ فَعْلِ الشَّقَاءِ إِلَى الضَّمِيرِ الْمُفْرَدِ عَدُولٌ عَنْ إِسْنَادِهِ إِلَى ضَمِيرِ التَّثْنِيَةِ الَّذِي يَقْتَضِيهِ ظَاهِرُ السِّيَاقِ، ﴿لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا﴾، فَهُوَ التَّلَفَاتُ⁽⁷⁾ مِنَ التَّثْنِيَةِ لِلْإِفْرَادِ، وَفِيهِ إِيمَاءٌ إِلَى أَنَّ

إِسْنَادُ الضَّمِيرِ
لِآدَمَ دُونَ حَوَاءَ
لِكُونِهِ الْقَوَّامَ
عَلَيْهَا

تَعَبُ الرَّجُلِ فِي
أَمْرِ الْمَرْأَةِ سَنَةً
الْحَيَاةِ؛ لِضْمَانِ
التَّكَامُلِ بَيْنَهُمَا

(1) أبو السَّعُود، إرشاد العقل السليم: 45 / 6.

(2) الألويسي، روح المعاني: 580 / 8.

(3) الكشاف، الرَّمْخُسَرِي: 91 - 92، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 40 / 4، وأبو حيان، البحر المحيط: 390 / 7.

(4) القرطبي، تفسير القرطبي: 253 / 11.

(5) القصاب، التُّكْتُ الدَّالَّةُ عَلَى الْبَيَانِ: 296 / 2.

(6) محمد أبو زهرة، زهرة التفاسير: 4798 / 9.

(7) هو من ملحقات الالتفات التي نصَّ عليها غير واحد من العلماء المعاصرين، حسن طبل: البديع

تأصيل وتحديد، ص: 49.

شقاء الذَّكر أصلُ شقاء المرأة، فلَمَّا نَصَّ سُبْحَانَهُ عَلَى شَرَكْتِهَا لَهُ فِي الإِخْرَاجِ؛ فَكَانَ مِنَ الْمَعْلُومِ شَرَكْتُهَا لَهُ فِي آثَارِهِ، وَكَانَتِ الْمَرْأَةُ تَابِعَةً لِلرَّجُلِ، فَكَانَ هُوَ الْمَخْصُوصُ فِي هَذِهِ الدَّارِ بِالْكُلِّ فِي الْكَدِّ وَالسَّعْيِ وَالذَّبِّ وَالرَّعْيِ، وَكَانَ أَغْلَبُ تَعَبِهِ فِي أَمْرِ الْمَرْأَةِ؛ أُفْرِدَ بِالتَّحْذِيرِ مِنَ التَّعَبِ لَذَلِكَ وَعَدًّا لَتَعَبِهَا بِالنَّسْبَةِ إِلَى تَعَبِهِ عَدَمًا، وَتَعْرِيفًا بِأَنَّ أَمْرَهَا بِيَدِهِ، وَهُوَ إِنْ تَصَلَّبَ؛ قَادَهَا إِلَى الْخَيْرِ، وَإِلَّا قَادَتْهُ إِلَى الضَّرِّ (1).

سِرُّ التَّعْبِيرِ بِالشَّقَاءِ بَدَلِ مُرَادِفَاتِهِ:

المُرَادُ بِالشَّقَاءِ هُنَا التَّعَبُ فِي طَلَبِ الْقُوَّةِ وَالْمَعَاشِ، وَذَلِكَ رَاجِعٌ إِلَى الرَّجُلِ دُونَ الْأُنْثَى، وَعَبَّرَ النَّظْمُ الْكَرِيمُ عَنِ التَّعَبِ بِالشَّقَاءِ؛ زِيَادَةً فِي التَّحْذِيرِ مِنْهُ، فَقَوْلُهُ: ﴿فَتَشْفَى﴾، أَي: فَتَتَعَبُ، وَلَمْ يُرَدِّ شَقَاوَةَ الْآخِرَةِ؛ لِأَنَّهُ لَوْ أَرَادَهَا مَا دَخَلَ الْجَنَّةَ بَعْدَ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ الْكَلَامَ الْمُقَدَّرَ بَعْدَ الْفَاءِ خَبَرٌ، وَالْخَبَرُ لَا يُخَلْفُ (2).

❁ الْفُرُوقُ الْمُجْمَعِيَّةُ:

البُعْلُ وَالزَّوْجُ:

الزَّوْجُ يُقَالُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْقَرِينَيْنِ مِنَ الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى فِي الْحَيَوَانَاتِ الْمُتَزَاوِجَةِ، وَلِكُلِّ قَرِينَيْنِ فِيهَا وَفِي غَيْرِهَا زَوْجٌ، كَالْخَفِّ وَالنَّعْلِ، وَلِكُلِّ مَا يَقْتَرِنُ بِآخَرَ مِمَّاثِلًا لَهُ أَوْ مُضَادًّا: زَوْجٌ (3)، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾ (٣٩) [القيامة: 39]، وَقَالَ: ﴿قُلْنَا أَحْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ [هود: 40]، وَاسْمُ الْبُعْلِ أَيْضًا مِمَّا يَشْتَرِكُ فِيهِ الزَّوْجَانِ، فَيُقَالُ لِلْمَرْأَةِ: بُعْلَةٌ، كَمَا يُقَالُ لَهَا: زَوْجَةٌ فِي كَثِيرٍ مِنَ اللُّغَاتِ، وَزَوْجٌ فِي أَفْصَحِ اللُّغَاتِ، فَهُمَا بَعْلَانِ، كَمَا أَنَّهُمَا زَوْجَانِ (4)، وَأَصْلُ الْبُعْلِ فِي كَلَامِهِمُ: السَّيِّدُ، وَسَمِّيَ بِهِ الزَّوْجُ؛ لِأَنَّهُ

الزِّيَادَةُ فِي
التَّحْذِيرِ مِنْ
مُوجِبَاتِ الشَّقَاءِ
وَأَسْبَابِهِ

الْبُعْلُ الْقَائِمُ
بِمَصَالِحِ الْأُنْثَى
وَمِنْهَا النِّكَاحُ
وَالزَّوْجُ أَعْمٌ

(1) البقاعي، نظم الدُّرَر: 12 / 357.

(2) البقاعي، نظم الدُّرَر: 12 / 357.

(3) الزَّائِغُ الْأَصْفَهَائِي، لِلْفَرْدَاتِ، ص: 384.

(4) الزَّائِغِي، تَفْسِيرُ الْفَخْرِ الرَّازِي: 6 / 439.

مَلَكَ أمر عصمة زوجه، فكان حقيقاً بهذا الاسم، وأطلق العربُ لفظَ الزَّوْجِ على كلٍّ من الرَّجُلِ والمرأة اللّذين بينهما عصمةٌ نكاح، وهو إطلاق عادل؛ لأنَّ الزَّوْجَ هو الَّذي يثنى الفرد، فصارا سواء في الاسم، وقد عبّر القرآن بهذا الاسم في أغلب المواضع غير التي حكى فيها أحوال الأمم الماضية، كقوله: ﴿وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾ [هود: 72]، وغير المواضع التي أشار فيها إلى التذكير، بما للزوج من سيادة، نحو قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَمْرًا خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاصًا﴾ [النساء: 128]، وهاته الآية كذلك؛ لأنَّه لما جعل حقَّ الرجعة للرجل جبراً على المرأة: ذكّر المرأة بأنَّه بعلُّها قديماً⁽¹⁾، والرجل لا يكون بعلّاً للمرأة حتّى يدخل بها، وذلك أنّ البعل النكاح والملاعبة، وأصلُ الكلمة القيام بالأمر⁽²⁾.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 392 / 2.

(2) العسكري، الفروق اللّغويّة، ص: 283، والكفويّ: الكلّيات، ص: 249.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والثلاثون،
سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والثلاثون، سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2024.
مج. 32، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك: 978-9948-732-74-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 32: المجلد الثاني والثلاثون، سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 978-9948-732-74-7

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-4565158 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»